أينَ نحنُ مِن....

استوقفتني منذ أيام قليلة مقولة الرئيس الأمريكي الراحل "جون كنيدي" التي أطلقها في خطابه الشهير عام 1961 حيث قال:

"لا تسأل عمّا يمكن أن يفعله بلدك لك، اسأل ما يمكنك القيام به لبلدك".

لقد تردد أنّ الرئيس الأمريكي استلهمها من المفكر العربي "جبران خليل جبران" الذي تحدث عن السياسي وليس المواطن. لكن ما استوقفني هنا وأنا اتأمل حياتنا وأوضاعنا وتربيتنا في حالة انعدام وجود "الأب" وأقصد به الوطن الراعي لنا.

لطالما بقيت مع الإحساس أننا كشعوب عربية وقد وُلدنا أيتامًا لا أب لنا ولا أم، وتعلمنا أن نتأقلم مع وضعنا هذا ونواجه المصاعب المترتبة عنه، حيث كثيرًا ما شعرنا "كالأيتام في مأدبة اللئام". الكل ينهشنا من كل جانب، لكننا استطعنا دومًا أن نعود ونقف على أرجلنا بمساعدة الدعم العائلي، الحَمولة والقبيلة، الدين وعادات حسن الجوار، المروءة العربية، النخوة، العزوة والفزعة، الى آخره من مصطلحات وتعابير.

نحن العرب شعب فعّال، ولنا رأي في كلّ شيء وفي كل موضوع ومجال، فكلّنا نفهم بالطّب والسياسة وعلم الاجتماع والاقتصاد وعلم الفلك والنجوم والرياضة وكمال الأجسام. آه ولا ننسى الدين والفتاوى والفقه والشريعة وتفسير الأحلام. مع كل هذا أتساءل أين نحن من:

-أين نحن من العنف المستشري في مجتمعنا حتى كِدنا لا نخرج من بيوتنا كي لا نصطدم مع أحدهم فنخسر حياتنا أو حياة أبنائنا.

-أين نحن من الظلم السائد بيننا، فنحن نصفّق للقويّ الذي يأكل مال الضعيف.

-أين نحن من تعدّي بعضنا على المُلك العام من" تكسير وتخريب" ولا نحرّك ساكنًا، كأنّ الأمر لا يعنينا.

-أين نحن من المفرقعات "والفتّيش" الذي يُقلق راحتنا ليلًا ونهارًا باسم الفرح "والانبساط" في الحفلات والمناسبات، وأقصى ما نفعله أن نشتم الفاعل هو وأباه الذي فشل في تربيته.

-أين نحن من الشاحنات والحافلات التي أصبحت تملأ قُرانا ومدننا وكل بقعة خضراء، وتسدّ منافذنا وشوارعنا وتحتلّ أرصفتنا، وتقض مضاجعنا في ساعات الصباح الباكر، فنستيقظ على صوتها المزمجر بدل الاستيقاظ على صوت زقزقة العصافير.

-أين نحن من فقدان القيم والأخلاق حيث لا احترام لكبير ولا شيخ أو امرأة.

أين نحن عندما كنّا نقف إكرامًا للعجوز والمرأة والصغير في الحافلات، للأسف أصبحنا متسمّرين في شاشات هواتفنا مدّعين الانشغال عمّا يدور حولنا.

-أين نحن من قول الشاعر "كاد المعلم أن يكون رسولًا" أين نحن من حقيقة أن المعلّم اليوم لا يستطيع توبيخ طالب أو طرده خارج الصف دون أن يتعرض لهجوم شرس من أهل الطالب وعائلته، أين نحن من قول آبائنا وأجدادنا "الكم اللحم والنا العظم".

-أين نحن من صلة الرحم واحترام الأمهات والأخوات والزوجات.

أين نحن من حرمان أخواتنا وأمهاتنا من الميراث الشرعي لهنّ، والذي منحهن إياه رب العالمين.

-أين نحن من أصوات الدراجات الناريّة التي تبدأ حفلتها في ساعات ما بعد منتصف الليل والتي تقضّ مضاجعنا ومضاجع أمهاتنا وآبائنا كبار السن وأطفالنا الصغار الذين يستيقظون مرتعبين منها.

والأدهى من ذلك أنه عندما يقع حادث ويُصاب أحدهم نتيجة تهوّره، فإننا نُطالب بالدعاء لهم بالشفاء العاجل حتى يعودوا إلى ازعاجنا مجددًا.

أيّ تناقض نعيشه نحن؟؟

-أين نحن من تواضعنا في الملبس والذهاب والإياب، أين نحن من ملابس أولادنا وبناتنا الممزّقة المرقّعة، أين نحن من نومنا ليلًا في أسرّتنا، وأولادنا يجوبون الشوارع ويعيثون بالأرض فسادًا.

-أين نحن من السيارات الفارهة الجديدة التي تم شراؤها بأموال البنوك لكي نتفاخر بها ونتباهى بمن لديه سيارة أحدث وأسرع وأوسع. أين نحن من مقولة " على قَدْ لحافك مد أجريك ". نحن بحاجة اليوم لأن نُقَصِّر أرجلنا كي ننهي الشهر بكرامة واحترام.

-أين نحن من أعراسنا ذات اعداد المدعوين الهائلة، واللحوم بالأطنان، وعلى بُعد نصف كيلو متر منّا عائلات كاملة لا تعرف طعم اللحمة إلّا بالأعياد والمناسبات.

-أين نحن من أصوات الموسيقى العالية والمفرقعات المدوية غير مراعين أنّ جارنا المتوفى لم تبرد جثته بعد.

هناك الكثير والكثير ممّا يُقال، وبالتأكيد أنه لديكم الكثير مما تضيفونه على ما ذكرت، ولكن رغم ذلك أقول كما قال الشيخ المشهور:

"شبابنا مناح وإحنا مناح".

دمتم بكل الخير

07-09-2021

أ.أيمن جبارة